الدور الصيني في أفريقيا : دراسة في دبلوماسية القوة الناعمة

أ.م.د ابتسام محمد العامري

مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية/جامعة بغداد

المقدمة :

لسنوات خلت تشكلت عن الصين نظرة نمطية هي ان اهتماماتها الخارجية تتمحور حول العالم الصيني الذي يقع في شرق آسيا ، واذا كان هذا التصور صائبا لمدة ما ، فأنها لم تعد كذلك في السنوات الاخيرة ، اذ بدأت الصين تتحرك بعيدا عن عالمها القديم وتدق ابواب عالمها الجديد بقوة من اجل توسيع نفوذها وخياراتها وإيجاد بدائل لسياساتها .

ان الابحار بعيدا عن عوالم جديدة لم يأتي من فراغ او تحقيقا لاحلام وهمية وانما ارتكز على قاعدة قوية صلبة ، فالانطلاق الصيني نحو عالمها الافريقي بدأ بعد ان اصبح اقتصادها قويا ولكنه كان وما يزال بحاجة الى افريقيا لأستكمال شروط بناءه وتعزيز قوته ليصبح اصلب عودا واكثر متانة واشد قوة وهذا ما تحقق ، اذ مهدت له افريقيا بمواردها وأمكانياتها الاقتصادية وتعاونها معه السبيل لبلوغ مجالات التفوق الذي احتاج سنوات طويلة وجهود مضنية من الجانبين،واذا كانت افريقيا فتحت آفاقا جديدة للصين لتحقيق احلامها وطموحاتها واهدافها فأن الاخيرة لم تبخل عليها بشئ بل ساعدتها ووقفت الى جانبها في مواضع شتى تثمينا لجهودها وردا لجميل عطاءها واحتراما لمجمل مواقفها الايجابية ، وقد دفع هذا التوافق القيمي والمصلحي الطرفان الى الانخراط في سلسلة من النشاطات والمبادرات التعاونية المتنوعة مشكلة عهدا جديدا لأفريقيا يتسم بالايجابية في نظرته وحدوده وآفاقه في التعامل مع قوى كبرى لا تشابه مثيلاتها من القوى الكبرى التي تعاونت مع افريقيا بمنطق لا انساني ولاعقلاني خلق لديها شعورا سلبيا من الصعب تجاوزه .

تقوم فرضية هذا البحث على حقيقة ان الادوات الاقتصادية بمختلف اشكالها هي العنصر الحاسم والقائد لبقية الادوات في تعزيز دور الصين في افريقيا ومساعدتها على تأمين مواردها وتعظيم مكاسبها وكسب حلفاؤها، ولغرض الاحاطة بجوانب الموضوع تم تقسيم الدراسة الى ثلاث مباحث هي :

المبحث الاول : ابعاد الدور الصيني في افريقيا .

يمكن تقسيم هذا الدور الى ثلاثة ابعاد حسب اهميتها وفاعليتها وقدرتها على تحقيق اهدافها وهي:

اولا : البعد الاقتصادي

ان المنظور الصيني الخاص للقارة الافريقية كونها تمثل عنصرا مركزيا في استدامة نموها وتطويره على المدى البعيد اعطى العامل الاقتصادي الاولوية وجعله العامل الاساسي والاهم في تفاعل الصين مع افريقيا ، لذا اعتمدت الاولى في سياستها تجاه الثانية على مفهومي القوة الناعمة

وبناء شراكات اقتصادية واستراتيجية [١] ، وتتميز العلاقات الصينية – الافريقية بالتعدد والتنوع والكثافة ، ويمكن تقسيمها الى ما يأتي :

١- المساعدات المالية والتنموية : يعد سلاح المساعدات الخارجية بنوعيه المالي والتنموي العنصر الحاسم في تعزيز وجود الصين وتوسيعه في افريقيا ، من اجل هذا حظيت افريقيا بأكبر نسبة من المساعدات الرسمية الصينية ، ويتم تقسيم هذه المساعدات الى انواع عدة منها المعونة المشروطة والهبات والقروض وآليات جديدة مثل الضمانات الحكومية للأستثمار في عدد من القطاعات مما يجعل الصين شريكا ثابتا لافريقيا ،وتنظر الصين الى المساعدات التي تقدمها لأفريقيا على انها وسيلة لتحقيق مكاسب اقتصادية مما جعلها تطبع سياستها الرسمية تجاه افريقيا بهذا الطابع منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي ، فالهدايا العينية وبناء المرافق الخاصة ، وارسال الفرق التقنية لأدارة هذه المواقع ، وبناء القصور الرئاسية والملاعب والمكاتب ، والخلط ما بين التعاون والمعونة ، والطابع غير الشفاف لمساعداتها الخارجية ، وثنائية هذه المساعدات وارتباطها بأستخدام الشركات والمستلزمات الصينية ، كلها تعد سمات المساعدات الخارجية الصينية [٢] .

وتتبع الصين منهجا ذكيا في تقديم مساعداتها المالية والتنموية للدول الافريقية لضمان استثمارها على الوجه الاكمل ، اذ توضع هذه الاموال في حسابات مضمونة في بكين ، ثم يتم وضع قائمة بمشاريع البنية التحتية المطلوبة ، وبعد ان تحصل الشركات الصينية على عقود بناء هذه المشاريع يتم تحويل هذه الاموال الى حسابات هذه الشركات ، وتوفر هذه الطريقة ثلاثة اشياء اساسية هي : ضمان بناء هذه المشاريع، وعدم ضياع هذه الاموال عبر سرقتها من قبل المسؤولين الفاسدين، وحصول الصين على سمعة جيدة لدى شعوب ومسؤولي القارة الافريقية [٣] ، وقد تنامت المساعدات التي تقدمها الصين لأفريقيا ومن ضمنها القروض بشكل كبير اذ ارتفعت من ٨٠٠ مليون دولار في العام ٢٠٠٥ الى ١٠ مليار دولار امريكي في المدة ما بين ٢٠٠٩ _ ٢٠١٢[٤].

٢- الاطار المؤسسي للتعاون والشراكة: تحمل المساعدات التي تقدمها الصين لأفريقيا طابعا مؤسسيا رسميا، اذ تشترك عدة وزارات ومؤسسات ودوائر خاصة في تقديم هذه المساعدات كل حسب دوره مثل وزارات الخارجية والمالية والتجارة والمصارف

١- ، سعيدة محمد بن عمر،افريقيا الصاعدة بين الهيمنة الجديدة وتحدي التنمية ، مجلة اتجاهات المستقبل ،العدد الثاني ، اكتوبر ٢٠١٤ ،ص ٣.

٢- للمزيد من التفاصيل ينظر:قط سمير ، الاستراتيجية الاقتصادية الصينية في افريقيا : فترة ما بعد الحرب الباردة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة محمد خيضر- بسكرة ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨ ،ص ص ١٠٩- ١١٢.

٣- اسهمت الصين في تحسين مستوى البنية التحتية الافريقية في اطار برنامج مساعداتها الخارجية من خلال بناء ٣٣٠٠ كم من الطرق ، و٣٠٠ مستشفى و٥٠ مدرسة و١٠٠ محطة لتوليد الكهرباء في اكثر من ٤٠ دولة افريقية للمزيد من التفاصيل ينظر:الشيخ باي الحبيب ،الاستثمارات الصينية بأفريقيا :كيف نجحت الصين في كسب القارة الافريقية ،الدوحة ،مركز الجزيرة للدراسات ، ٣٠ ابريل / نيسان ٢٠١٤، ص ص ٤- ٧، تقرير منشور على موقع مركز الجزيرة الالكتروني http\\studies.aljazeera.net

٤- Thompson Ayodele and Olusegun Sotola ,China and Africa : An Evaluation of Chinese Investment, IPPA, Working Paper Series, Public Policy Analysis, Nigeria, 2014, p. 4

المملوكة للدولة واللجنة الوطنية للتنمية والاصلاح في مجلس الدولة ، والمستشارين الصينيين في السفارات الصينية ، [٥] ، ويوضح المخطط الاتي برنامج المساعدات الخارجية الصينية .

شكل رقم (١)

الاطار التنظيمي لأدارة المساعدات الخارجية الصينية [٦]

٥- قط سمير،مصدر سبق ذكره،ص ص ١١٥ – ١١٦ .

٦ - Li Xiaoyun ,China s Foreign Aid and to Africa :Overview , China Agriculture University, Beijing , p. 7.

تشكل المساعدات الصينية الرسمية انموذجا ملائما وجيدا لأقتصاديات القارة الافريقية لأعتبارات عدة : اولها : امتلاك الصين خبرة واسعة في مجال التنمية ، وثانيها : تتسم مشروعاتها بجودة نسبية وكلف رخيصة وهو ما يلائم الدول الافريقية التي لا يمكنها تحمل نفقات تنموية عالية [٧] .

تجسد تعاون الصين وافريقيا بأبرز معانيه في الدبلوماسية المتعددة الاطراف المسماة بمنتدى التعاون الصيني – الافريقي (FOCAC) الذي تشكل في ١٠ تشرين الاول من عام ٢٠٠٠، ويمثل المنتدى آلية للتشاور الثنائي تهدف لتعميق العلاقات وتشجيع التعاون المشترك ،والسعي الى توطين التنمية المشتركة ،وقد مثل هذا المنتدى خارطة طريق لمئات من اتفاقيات التكامل لتقديم المساعدة الاقتصادية التي تنوعت ما بين التعاون التقني ومشاريع الدعم والمنح المالية [٨] .

يهدف هذا المنتدى الذي يضم في عضويته ٥٠ دولة افريقية الى تعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية ما بين الصين والدول الافريقية في القطاعين العام والخاص ، وارساء نظام سياسي واقتصادي دولي جديد في القرن الحادي والعشرين ، مما اسهم في زيادة التغلغل الصيني في افريقيا [٩]، وقد صادق مؤتمر المنتدى المنعقد في جوهانسبرغ في كانون الاول ٢٠١٥ على خطة عمل للأعوام ما بين (٢٠١٦ – ٢٠١٧)والتي ركزت على انشاء الصين صندوق للتعاون برأسمال يصل الى ١٠ مليار دولار ، وتعهد الصين بألغاء الديون المترتبة على القروض دون فوائد التي لم يتم تسديدها في نهاية العام ٢٠١٥ للدول الاقل تطورا ، وتدريب ٢٠٠ موظف افريقي ، وتقديم ٣٠ الف منحة دراسية ، ومساعدة مالية تقدر ب ٦٠ مليون دولار للاتحاد الافريقي لمكافحة الارهاب والهجرة غير الشرعية والجريمة المنظمة [١٠].

٣- الاستثمار :رأت الصين ان افضل وجهة لتوظيف فوائضها المالية هي القارة الافريقية التي سيحقق الاستثمار فيها فوائد عدة ابرزها عولمة الشركات الصينية الكبرى والتي تحظى بدعم الحكومة الصينية ،مما يعني انها لا ترفض العولمة بل تتعامل معها على

٧- كريس الدن ،الصين في افريقيا شريك ام منافس ؟ ، ترجمة عثمان الجبالي المثلوثي ، بيروت ودبي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار كلمة ، ٢٠٠٩ ، ص ص ٣٨ – ٤٠ ، و ٤٤.

٨- ، جميلة علاق ،استراتيجيات التنافس الدولي في منطقة الساحل والصحراء ،مجلة العلوم الاجتماعية ،الجزائر ، عدد ١٩ ،ديسمبر ٢٠١٤ ص ٣٤٣.

٩- عقد المؤتمر الاول للمنتدى في العاصمة الصينية بكين في العام ٢٠٠٠ بحضور مسؤولين يمثلون ٤٤ دولة ، ويعقد المنتدى كل ثلاث سنوات بالتناوب ما بين الصين واحدى الدول الافريقية ، والثاني في العاصمة الاثيوبية اديس ابابا في العام ٢٠٠٣ ،والثالث في بكين في العام ٢٠٠٦ ،والرابع في القاهرة في العام ٢٠٠٩ ،والخامس في بكين في العام ٢٠١٢ ،والسادس في مدينة جوهانسبرغ في جنوب افريقيا في العام ٢٠١٥ كما نوهنا آنفا ، للمزيد من التفاصيل حول اعمال ومقررات المؤتمرات الستة ينظر :الشيخ باي الحبيب ،الاستثمارات الصينية بأفريقيا : كيف نجحت الصين في كسب القارة الافريقية ،الدوحة ،مركز الجزيرة للدراسات ، ٣٠ ابريل / نيسان ٢٠١٤ ، ص ٥ ، تقرير منشور على موقع مركز الجزيرة الالكتروني http\\studies.aljazeera.net

و ومحمد الخولي ،منتدى التعاون الصيني – الافريقي من اعلان بكين لقمة جوهانسبرج ، مقال منشور على الموقع الالكتروني www.masralarabia.com
www.aljazeera.net

١٠ - للمزيد من التفاصيل حول مقررات المنتدى ، ينظر : منتدى حول التعاون الصيني الافريقي :دراسة في المحاور الـ ١٠ للتعاون ، مقال منشور على موقع وكالة الانباء الجزائرية بتاريخ ٢٨ يوليو ٢٠١٦ www.treckat.com

وفق شروطها وليس شروط الآخرين ، ويدعم الرئيس الصيني السابق (هو جنتاو) هذا الاتجاه بقوله " ان العولمة تشكل محورا اولويا للأقتصاد الصيني ، وافريقيا بشكل خاص موضعا مشجعا لأستثمار الشركات الصينية " [١١] .

يتسم الاستثمار الصيني في افريقيا بمميزات عدة منها انخفاض تكلفة المشاريع الصينية في افريقيا ،واختيار الشركات الصينية مناطق للأستثمار تفتقد للأمن مما يجعلها تتحمل مخاطر لا تستطيع الشركات الغربية تحملها ، وتركز الاستثمار الصيني عدا موارد الطاقة في قطاع الخدمات خاصة البناء والنقل والتصنيع وفي القطاعات التي لا تتطلب مهارة عالية والكثيفة الاستخدام لرأس المال في الدول الافريقية الفقيرة [١٢] ، واقامة مشاريع هدفها في التضامن مع الشعوب الافريقية [١٣] .

تعتمد الشركات الصينية في استثماراتها الافريقية على قاعدة ثلاثية المال والخبرة والعمال ، ولهذه القاعدة منافعها ومضارها على الدول الافريقية ،فالعمالة الصينية مدربة جيدا وتتمتع بأنتاجية عالية مما يجعلها تتسبب بمشاكل في البلدان التي تعاني من نسب بطالة مرتفعة [١٤] .

استطاعت هذه الشركات عقد العديد من الصفقات الناجحة في افريقيا لا سيما في مجال الطاقة مثلا اشترت الشركة الوطنية الصينية لحقول النفط البحري (CNOOC) في العام ٢٠٠٥ حصة تبلغ ٤٥% من حقول النفط النيجيرية مقابل ٢،٢٧ مليار دولار امريكي ، ووسعت شركة هواوي للاتصالات من مشاريعها لتشمل ٣٩ بلدا افريقيا جنوب الصحراء بما في ذلك مشروع البنية التحتية لسوق الهاتف النقال في نيجيريا بقيمة ٨٠٠ مليون دولار [١٥] ، كما وقعت الصين والكونغو اتفاقية اقتصادية في مجال التعدين في العام ٢٠٠٨ تحصل بموجبها الاولى على ١١ مليون طن من النحاس و٦٢٠ الف طن من الكوبالت خلال الـ ٢٥ عاما القادمة مقابل تنفيذ عدد من مشاريع البنى التحتية مثل بناء عدد من العيادات والمستشفيات والمدارس وجامعتين والسكك الحديد وتعبيد الطرق [١٦]، والجدول الآتي يبين لنا حجم الاستثمار الكلي للصن في افريقيا في القطاعات المختلفة .

جدول رقم (١)

حجم الاستثمارات الصينية في افريقيا للمدة ما بين (٢٠٠٣ - ٢٠١٤)

القيمة (مليار دولار)

---

١١ - قط سمير ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٢.

١٢ - للمزيد من التفاصيل ، ينظر : وينجي شن وديفيد دولار وهيواي تانغ ، نهضة الاستثمار ، مجلة التمويل والتنمية ، ديسمبر ٢٠١٥ ، ص ص ٣٣ – ٣٤.

١٣- د. عبد الحكيم الطيب وخالد محمد دفع الله ، اتجاهات التنافس الصيني الامريكي حول النفط في غرب افريقيا : توقعات حركة اللجوء والتغيير السياسي ، مجلة دراسات المستقبل ، بلا عدد ، بلا تاريخ ، ص ١٠٣ .

١٤- الشيخ باي الحبيب ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٤-٥.

١٥- كريس الدن ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٥٨ – ٦٢.

١٦ - د. عبد الحكيم الطيب وخالد محمد دفع الله ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٨٥ – ٨٦ ، وص ٩٦ .

السنة	حجم الاستثمار
٢٠٠٣	٠،٠٧٥
٢٠٠٤	٠،٩٠٠
٢٠٠٥	\
٢٠٠٦	١١،٧
٢٠٠٧	\
٢٠٠٨	٥،٤٩
٢٠٠٩	٩،٣٣
٢٠١٠	\
٢٠١١	١٢
٢٠١٢	١٤،٧
٢٠١٣	٢٥
٢٠١٤	٣٠

المصدر : الجدول من اعداد الباحث اعتمادا على المصادر الآتية :

١- لحسن الحسناوي ، التنافس الدولي في افريقيا :الاهداف والوسائل ،المجلة العربية للعلوم السياسية ، عدد ٢٩، شتاء ٢٠١١ ، ص ١٢٠.
٢- عيمور فيروز ،التنافس الامريكي – الصيني في افريقيا بعد الحرب الباردة ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الجزائر -٣- ، كلية العلوم السياسية والاعلام ، ٢٠١٠ – ٢٠١١، ص ٧٨.
٣- سعيدة محمد بن عمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣.
٤- ، علي حسين باكير ، دبلوماسية الصين النفطية : الابعاد والانعكاسات ، تقديم د. محمد المجذوب ، بيروت ،دار المنهل اللبناني، ٢٠١٠ ،ص ١١٥.
٥- www.aljazeera.net
٦- op. cit., Thompson Ayodele and Olusegun Sotola, p.6
٧- محمد الخولي ، بالارقام الاستثمارات الصينية في افريقيا ، ٣٠ آب ٢٠١٥ ، منشور على الموقع الالكتروني www.masralarabia.com
٨- وانغ وانغشينغ ، الصين وافريقيا : نموذج ايجابي في العلاقات الدولية ، ٢٠١١/١/٦ ، كلمة السفير الصيني السابق في ليبيا منشورة على الموقع الالكتروني
www.china-embassy.org

٤- المبادلات التجارية :

اسهمت الاتفاقيات التجارية التي عقدتها الصين مع ٤١ دولة افريقية في العام ٢٠٠٥ ، وتشكيل منتدى التعاون الصيني – الافريقي في العام ٢٠٠٠ الى تحفيز التجارة بين الطرفين والتي لم تقتصر على منطقة معينة في افريقيا دون سواها وانما شملت كل الدول الافريقية [١٧] ،فضلا عن الخطوة الصينية بفتح اسواقها امام الصادرات الافريقية من اجل اصلاح الخلل في الميزان

١٧- عيمور فيروز،مصدر سبق ذكره، ص ص ٧١ – ٧٤.

التجاري الذي كان يميل لصالح الصين في المدة ما بين ٢٠٠٢ – ٢٠٠٣ ، وتوقيع الصين اتفاقات خاصة بمنع الازدواج الضريبي مع ٤٧ دولة افريقية للمدة ما بين ٢٠٠٢ – ٢٠٠٧ ، وقيام البنك الصيني للتنمية بتمويل عمليات الاستيراد والمشاريع في افريقيا ، وسماح الصين في كانون الثاني ٢٠٠٥ لنحو ٢٧ دولة افريقية بأدخال صادراتها للسوق الصينية دون جمارك في اطار اعتماد قائمة متبادلة من ١٩٠ سلعة لأعفاءها من الجمارك بين الطرفين [١٨] .

تعد انغولا الشريك الافريقي الاكبر للصين بحجم تجارة وصلت الى ١٧،٦٦ مليار دولار ، ثم جنوب افريقيا ١٦،٦ مليار دولار ، والسودان ٦،٣٩ مليار دولار ، ونيجيريا ٦،٣٧ مليار دولار ، ومصر ٥،٨٦ مليار دولار ، وتستورد الصين منتجات زراعية تصل قيمتها الى ٢،٣٣ مليار دولار من افريقيا [١٩] ، والجدول الآتي يوضح حجم التبادل التجاري ما بين الصين وافريقيا .

جدول رقم (٢)

حجم التبادل التجاري بين الصين وافريقيا للمدة ما بين (١٩٥٠ – ٢٠١٥)

(القيمة مليار دولار امريكي)

السنة	حجم التبادل التجاري
١٩٥٠	٠،٠١٢
١٩٧٩	٠،٨١٧
١٩٨٠	١
١٩٩٧	٥،٦
١٩٩٩	٦،٤
٢٠٠٠	١٠،٦
٢٠٠١	١٠،٧
٢٠٠٢	١٢،٣٩
٢٠٠٣	١٨،٤
٢٠٠٤	٢٩،٥
٢٠٠٥	٣٩،٥
٢٠٠٦	٥٠
٢٠٠٧	٥٥
٢٠٠٨	١١٤
٢٠٠٩	١٠٦،٨
٢٠١٠	١١٥
٢٠١١	١٦٠
٢٠١٢	١٩٨،٥
٢٠١٣	٢١٠
٢٠١٤	٢٠١،١١
٢٠١٥	٣٠٠

١٨- رضا محمد هلال ، العلاقات الصينية بالدول النامية .. المنطلقات والابعاد ،مجلة السياسة الدولية ، عدد ١٧٣ ، السنة الرابعة والاربعون ، يوليو ٢٠٠٨،ص ١٣٥.
١٩ - الشيخ باي الحبيب ،مصدر سبق ذكره ،ص ٥.

المصدر من اعداد الباحث اعتمادا على المصادر الآتية :

١- لحسن الحسناوي ،مصدر سبق ذكره ،ص ١١٩ .
٢- عيمور فيروز، مصدر سبق ذكره ،ص ٧١-٧٢ .
٣- سعيدة محمد بن عمر ، مصدر سبق ذكره ،ص ٣ .
٤- www.aljazeera.net
٥- Thompson Ayodele and Olusegun Sotola op. cit., p.6, p.11
٦- الشيخ باي الحبيب،مصدر سبق ذكره،ص٢.
٧- رضا محمد هلال ،مصدر سبق ذكره ،ص ١٣٥.
٨- ، نادية بنسلام ،صعوبات امام انتشار الصين الاقتصادي في افريقيا ،مجلة افاق المستقبل ،عدد ١٢، يونيو ٢٠١٢، ص١٦.
٩- وعبد الكريم حمودي ، الصين تغزو افريقيا اقتصاديا ، صحيفة الخليج اونلاين ، ٢٠١٥/١١/١٩ ، http://llklj.onl\z2ge
١٠-منتدى حول التعاون الصيني الافريقي : دراسة في المحاور الـ ١٠ للتعاون ، مصدر سبق ذكره .
١١-Judith Van de Looy ,Africa and China:A Strategic Partnership ? ASC Working Paper 67, Leiden, The Netherlands ,African Studies Centre, 2006, p.13.

٥- الاسواق الافريقية :

ساعد ارتفاع حجم السكان الافارقة الذي من المتوقع ان يصل الى ٢ مليار نسمة في العام في العام ٢٠٥٠ الى تشجيع الصين في فتح اسواق جديدة في افريقيا من خلال تعزيز قواعدها الحالية [٢٠] ،وعلى الرغم من ان الصين تمكنت من الولوج الى الاسواق الافريقية كافة ، الا ان منتوجاتها تتركز اكثر في افريقيا جنوب الصحراء مما جعل الصين من اهم شركاء هذه المنطقة التجاريين، وهدفها من ذلك تحقيق غايتين هما:الحصول الدائم على الموارد الاولية،ومحاولة نشر موادها ذات القيمة المضافة اي ما يسمى سياسة تجاوز الحدود،وعلى الرغم من ان المنتجات الصينية اقل جودة من نظيرتيها الغربية واليابانية الا انها تلائم الشرائح الفقيرة في المجتمعات الافريقية، فالصين تقوم بدراسة السوق وقدرته الشرائية ومن ثم تقوم بأنتاج سلع تناسب هذه القدرة في الدول الافريقية [٢١] .

ثانيا : البعد السياسي – الامني .

لهذين البعدين اهمية كبيرة في توجهات الصين الاستراتيجية نحو افريقيا بحيث انها تتساوق في اهميتها مع ما سبقها،ويمكن تحديد ابرز ما في البعدين بما يأتي:

١- البعد السياسي:وتتحدد ابرز مفاصله فيما يأتي:
أ- دعم الموقف الصيني في القضية التايوانية:

تعد تايوان من القضايا الشائكة والتي لطالما سببت ارقا وقلقا مستمرا للصين وحددت من حركتها ودبلوماسيتها على الساحة الدولية ،وقد دفع هذا الامر بالصين الى محاولة تطويق تايوان وتهميش

٢٠- سعيدة بن محمد عمر ،مصدر سبق ذكره ،ص ٣.

٢١- قط سمير،مصدر سبق ذكره ،ص ص ٦٦ – ٧٠.

حركتها على المستوى الدولي معتبرة ان افريقيا هي احد اهم هذه المناطق التي يمكن ان تمارس فيها هذه السياسة من خلال طرح نفسها كبديل عن تايوان ،وقد آتت جهود الصين منذ حقبة الحرب الباردة حتى الان اكلها اذ اقدمت العديد من الدول الافريقية على قطع علاقتها مع تايوان وكان آخرها جنوب افريقيا في العام ١٩٩٨ ،والسنغال ٢٠٠٤ ،وليبيريا في العام ٢٠٠٥ ،وقد شكلت المصلحة الاقتصادية مع الصين العامل المحوري في اقدام هذه الدول وغيرها على هذه الخطوة.

ب - الحصول على الدعم الدبلوماسي الافريقي في الامم المتحدة

توفر الامم المتحدة منبرا مهما في تحقيق اهداف الصين على المستوى العالمي ،فمسائل مثل انتهاك حقوق الانسان واصلاح الامم المتحدة واحتمالية ضم اليابان الى مجلس الامن بوصفها عضوا دائما والخلاف حول حقوق السيادة في بحر الصين الجنوبي كلها قضايا تحتاج فيها الصين الى دعم تثبت به وجودها وتوسع فيه نفوذها وتحصل من خلاله على حقوقها ،وتقدم افريقيا للصين افضل وسيلة لتحقيق ما تصبو اليه ،فالحضور الكبير للدول الافريقية في الامم المتحدة كونها تشكل اكثر من ثلث اعضائه يمثل احد الرهانات القوية التي تعمل عليها الصين [٢٢] . تضاعفت اهمية البعد الاممي في العلاقات الصينية – الافريقية بعد محاولات القوى الكبرى استصدار قرارات في الامم المتحدة تتهم فيها الصين بأنتهاك حقوق الانسان خاصة بعد العام ٢٠٠٠ ،مما دفع الاخيرة ومن اجل رفع الضغط الغربي عليها في هذه المسألة الى دعم المطالب الافريقية في الامم المتحدة من خلال منحها مقعدين مشفوعين بحق الفيتو و٥ مقاعد غير دائمة في مجلس الامن كما تطالب الدول الافريقية بذلك ،فتقوية الاخير وزيادة عدد اعضاءه يعني بحد ذاته زيادة لنفوذ الصين التي اخذت في السنوات الاخيرة تشارك بفاعلية في قضايا حل الخلافات والنزاعات الدولية ضمن الامم المتحدة.

ج – سعي الصين لخلق نظام دولي متعدد الاقطاب:

اختارت الصين الساحة الافريقية في مسعاها الرامي الى اضعاف القوى الغربية خاصة الولايات المتحدة ، مما سيخلق وضعا دوليا ملائما لمصالح الصين العالمية،فالقارة الافريقية ستكون حسب رأيها مسرحا لبيئة ما بعد الحرب الباردة ، فخطاب جنوب – جنوب الذي تعتمده الصين في تعاملاتها مع الدول الافريقية يلقى صدى ايجابي لدى دول القارة لتتحول بموجبه الصين وكأنها الناطق بأسم الدول النامية من خلال دعوتها لخلق بيئة دولية تعددية،واعادة النظر [٢٣] بالاقتصاد العالمي الذي يتصف بميزتين هما عدم العدالة واهمال حقوق الفقراء ويؤكد الرئيس الصيني السابق (هو جنتاو) هذا المسعى من خلال اعتقاده بأن الصين تعد حاليا مشاركا اساسيا في النظام الدولي،والذي اصبح التوجه نحو تعددية الاقطاب امرا لا يمكن التراجع عنه [٢٤] .

د – مساندة الصين للأنظمة السياسية الحاكمة في افريقيا:

٢٢- عيمور فيروز،مصدر سبق ذكره ،ص ١٣.
٢٣ - المصدر نفسه ،ص ص ٥٧ – ٦٥.
٢٤- المصدر نفسه ،ص ص ١١٦ – ١١٧.

هدفت زيارات كبار المسؤولين السياسيين الصينيين للدول الافريقية حسب وجهة رأي الصين الى تعزيز العلاقات مع افريقيا وتطويرها الا ان البعض ينظر اليها خاصة الغرب على انه انها توفر دعما سياسيا صريحا لأنظمة الحكم التسلطية في افريقيا ،وعلى الرغم من الانتقادات التي تتعرض لها الصين في هذا الجانب الا انها استمرت في نهج دبلوماسيتها الشخصية التي نسجت عن طريقها علاقات قوية من النخب السياسية ،اذ زار الرئيس الصيني السابق (هو جنتاو) افريقيا اربع مرات كان آخرها في العام ٢٠٠٩ ،فضلا عن الزيارات المستمرة للمسؤولين الصينيين[٢٥] ،اذ اضحت افريقيا هي المحطة الاولى سنويا لأول زيارة رسمية لوزير خارجية الصين الى الخارج ،كما قامت الصين بتعيين مبعوث خاص الى افريقيا في آيار ٢٠٠٧[٢٦].

ان اهم ما يميز التعامل الصيني مع النظم السياسية الافريقية هو عدم التدخل في شؤونها ،اذ ليس لها معايير سياسية في التعاطي مع هذه النظم ،فهي ترى انه من غير الصواب ربط ما تعتقد انه صحيح اخلاقيا او ثقافيا بسياستها الخارجية [٢٧] ،وسرعة تأقلمها مع انظمة شركائها والتعامل معها حسب طبيعة الدولة المضيفة والحكومات،كما انها تقوم بتوطيد علاقاتها مع الدول الافريقية التي تتسم علاقاتها مع الغرب بالتوتر مما جعل الاخير ينتقد سياستها ويتهمها بعدم دعم قرارات الامم المتحدة المتعلقة بدارفور[٢٨] ،فقد وقفت الصين ضد المحاولات الامريكية لفرض عقوبات اقتصادية على الحكومة السودانية بحجة مشاركتها في حملات التطهير العرقي ،الا ان بعض محاولاتها باءت بالفشل[٢٩] .

٢- البعد الامني :

على الرغم من ان الصين دخلت متأخرة للقارة الافريقية الا انها استطاعت توطيد علاقاتها الامنية والعسكرية مع دولها في المجالات الآتية:

١- مبيعات الاسلحة :

دفعت التوترات السياسية والتهديدات الامنية المتعددة الاشكال والمعقدة الجوانب الى اتخاذ الدول الكبرى قرارات مهمة بعدم توريد السلاح الى بعض الدول الافريقية التي لا تتفق مع توجهاتها مما سهل على الصين استغلال هذه الثغرة والدخول الى سوق السلاح الافريقي عن طريق هذه الدول ، ففي بداية تعاونها العسكري باعت الصين لأفريقيا اسلحة بقيمة ١،٣ مليار دولار في العام ٢٠٠٣ ،وعلى الرغم من ان هذه الاسلحة لا تشكل رقما كبيرا من مجمل مبيعات السلاح

---

٢٥ - جورج تي يو ،الصين وافريقيا ،مقال منشور على موقع مركز دراسات الصين وآسيا الالكتروني www.chinaasia-rc.org

٢٦- نجلاء محمد مرعي،الثروة النفطية والتنافس الدولي "الاستعماري" الجديد في افريقيا ،مجلة البيان،التقرير الاستراتيجي السابع ، ٢٠١٠ ،ص ٤٣٦.

٢٧- د. عبد الحكيم الطيب وخالد محمد دفع الله ،مصدر سبق ذكره ،ص ص ١٠٤ – ١٠٥.

٢٨ - د.مهاري مارو ، العلاقات الصينية – الافريقية .. الديمقراطية والتوزيع ، ترجمة يعقوب بن ابو مدين ، الدوحة ، مركز الجزيرة للدراسات ، ٣٠ ابريل/نيسان ٢٠١٣ ، ص ٥ وص ٧ ،تقرير منشور على موقع مركز الجزيرة الالكتروني http\\studies.aljazeera.net

٢٩ - د. حمدي عبد الرحمن ،افريقيا وتحديات عصر العولمة : اي مستقبل ،القاهرة ،مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٧، ص ١٥٣.

الاجنبي الى افريقيا الا انها اثبتت فاعليتها في صراعات القارة لا سيما في منطقة القرن الافريقي التي باعت الصين لدولها اسلحة ومعدات ثقيلة بما في ذلك طائرات الهليكوبتر وطائرات شيانغ النفاثة المقاتلة ،وقد ادت الاسلحة الصينية دورا في الحرب الاهلية في سيراليون ،والحرب بين اثيوبيا وارتيريا والكونغو وتشاد ودارفور،كما باعت الصين اسلحة متنوعة لنيجيريا بعد رفض الكونغرس الامريكي بيعها زوارق دوريات لأستخدامها في منطقة الدلتا المضطربة ،كما حصلت على التزام صيني بتدريب الفنيين النيجيريين على تتبع عمليات الاقمار الصناعية مقابل منح الصين عقودا نفطية في المدة ما بين ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦.

لم يقتصر نشاط الصين العسكري في افريقيا على مبيعات الاسلحة بل تعدتها الى انشاء مصانع للأسلحة الخفيفة في اوغندا والسودان التي ساعدتها الصين على بناء ثلاثة مصانع تنتج الاسلحة الخفيفة وراجمات الصواريخ والاسلحة المضادة للدبابات [٣٠].

٢- عمليات حفظ السلام :

شرعت الصين ومن اجل الا تتهم كونها سببا من اسباب تأجيج الصراعات في افريقيا بسبب مبيعاتها من الاسلحة التي تتزايد عاما بعد آخر الى دعم الأمن والسلم في افريقيا من خلال المشاركة في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة شاملة كل اجزاء القارة مبتدئة بقوة كبيرة ضمن قوات حفظ السلام في ليبيريا وفرقا اصغر حجما من هذه القوات في كل من الكونغو والسودان ،وقد قسمت قوات حفظ السلام الصينية البالغة ٣ الاف جندي في افريقيا بواقع سبع بعثات ،مما يجعل الصين اكبر مساهم في عمليات حفظ السلام من بين الاعضاء الدائمين في مجلس الامن خلال المدة ما بين ٢٠٠٠- ٢٠٠٨ ، كما قدمت الصين في العام ٢٠٠٦ دعما ماليا يصل الى ٣،٥ مليون دولار لدعم عمليات حفظ السلام التابعة للأتحاد الافريقي ،فضلا عن تقديم مساعدات مالية اخرى تصل الى ٢٠٠ الف دولار لمكافحة التصحر في العام ١٩٩٩ ، و٦١٠ الف دولار للمساعدة في حل ازمة دارفور في العام ٢٠٠٤.

كما قامت الصين بأرسال فيلق من المتطوعين الشباب الذين يتم اختيارهم من بين رابطة الشبيبة الشيوعية لاعدادهم بصفتهم سفراء النوايا الحسنة وتتمحور مهمتهم في تقديم الخدمات والمساعدة في مجالات الصحة والزراعة وتربية الحيوان وعلم اللغة للأفارقة [٣١].

ثالثا : البعد الثقافي – الاجتماعي :

يعد هذان البعدان من اهم جوانب دبلوماسية القوة الناعمة واكثرها قدرة وفاعلية وتأثيرا على السير بالأهداف الصينية الى مبتغاها وغايتها.

أ- البعد الثقافي :

٣٠- كريس الدن ،مصدر سبق ذكره ،ص ص ٤٠ – ٤١ و ص ٨٩.

٣١- للمزيد من التفاصيل ينظر:عيمور فيروز، مصدر سبق ذكره،ص ص ١٠٥ – ١٠٦. وكريس الدن ،مصدر سبق ذكره ،ص ص ٤٢ – ٤٣.

احتلت الادوات الثقافية ركيزة اساسية في توجهات الصين نحو افريقيا خاصة وان هدفها الاساس يتركز في سعي الصين المتواصل لخلق صورة ايجابية وبناءة عنها من اجل توظيفها في علاقتها مع الدول الافريقية [٣٢].

لقد تم ترجمة هذه الخطط وتطبيقها على ارض الواقع من خلال التركيز على تطوير رأس المال البشري الافريقي عبر توفير فرص التدريب للعديد من المختصين الافارقة ضمن برنامجها لتدريب قوة العمل الافريقية ،كما قامت الصين ببناء العديد من المصانع لمعالجة المواد الاولية المستخرجة من افريقيا بدلا من معالجتها في الصين كما في نيجيريا ،وقدمت تدريبا لما يقارب ١٦ الف مختص افريقي للمدة ما بين ٢٠٠٠ – ٢٠٠٦ ،واعلن الرئيس الصيني السابق (هو جنتاو) في العام ٢٠١٣ عن برنامج مساعدات لتوفير ١٨ الف منحة دراسية حكومية للطلاب الافارقة ،واقامة دورات تدريبية لحوالي ٣٠ الف افريقي في مختلف الاختصاصات [٣٣].

ولم تتوقف جهود الصين عند هذا الحد بل قامت بتشكيل صندوق تشترك فيه عدة وزارات صينية مثل الشؤون الخارجية والتجارة والتعليم والعلوم والتكنولوجيا يكون مسؤولا عن تدريب وتعليم الافارقة.

اسهمت الصين بشكل واضح ضمن برنامج الزمالات والمنح الدراسية في تشجيع التعاون وتوثيق عراه ما بين المؤسسات والطلاب في كل من افريقيا والصين[٣٤] ، وقد دشنت الصين في العام ٢٠٠٩ مشروعا ضخما للمنح الدراسية وصل عدد الطلاب الافارقة بمقتضاه في الجامعات الصينية الى ١٢ الف طالب يدرسون على نفقة الحكومة الصينية [٣٥].

ب – البعد الاجتماعي :

لهذا البعد دورا كبيرا في تجسيد مبادئ القوة الناعمة الصينية في افريقيا، فما يطلق عليه بدبلوماسية الصحة قد حقق نتائج ايجابية على مدى السنوات القليلة الماضية ، اذ يجري في هذا الجانب تعاون مستمر ما بين الصين وافريقيا من خلال التبادل المنتظم للفرق والتدريب الطبي للأطباء الافارقة ، واستقبال الزعماء الافارقة الذين يأتون الى الصين للمعالجة، وتزويد الدول الافريقية بأجهزة طبية مجانية،واقامة العديد من البرامج المشتركة لمعالجة العديد من الامراض مثل الملاريا والآيدز ومنها الدورة الطبية العالمية التي اقامتها وزارة الصحة الصينية لغرض معالجة الملاريا في المناطق الاستوائية وقد شارك في هذه الدورة عدد من الطلاب الافارقة الذين بلغوا ٣٠ طالبا يمثلون ١٧ دولة افريقية،فضلا عن الدورة المختصة بالطب التقليدي والمواد الصيدلية التي عقدت على هامش منتدى التعاون الصيني – الافريقي وشاركت فيها ٢١ دولة . ارسلت الصين الى ٤٧ دولة افريقية ما يقارب ١٥ الف طبيب وموظف صحي ، وعالج اطباءها خلال سنوات قليلة ما يقارب ١٨٠ مليون مواطن افريقي ، فضلا عن مساهمة الوحدات الطبية العسكرية في عمليات حفظ السلام والتي قدمت مساعداتها الى الجنود والمدنيين على حد سواء،

---

٣٢ - عبد الكريم صالح المحسن ،العلاقات الصينية – الافريقية : روابط الجنوب بالجنوب والعولمة البديلة، ٢٦ تشرين الثاني ٢٠١١ ،ص ٧، مقال منشور على موقع كتابات الالكتروني http://kitabat.com

٣٣ - Thompson Ayodele and Olusegun Sotola, op cit., p. 9.

٣٤ - Judith Van de Looy, op.cit., p.8.

٣٥ - الشيخ باي الحبيب، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

وتكريما لجهودها في هذا المجال فقد دعمت الحكومات الافريقية الفرق الطبية الصينية، وغطت مصاريفها،ومنحتها ميداليات وطنية، وقد استطاعت هذه الفرق ان تبني علاقات مستقرة بينها وبين الشعوب الافريقية اعتمادا على قاعدتين اساسيتين هما الثقة والخبرة [٣٦].

المبحث الثاني : تحديات الدور الصيني في افريقيا وايجابياته .

تتعرض اي دولة تتوجه خارج حدودها من اجل توسيع مجال نفوذها وتعميق روابطها وضمان مصالحها لتحديات ومصاعب جمة قد تتمكن الدولة احيانا من تجاوزها وقد تقف احيانا اخرى حجر عثرة في طريق تقدمها،وابرز هذه التحديات:

اولا: القوى الغربية

اعتمدت الصين لنفسها استراتيجية جديدة بعد احداث الحادي عشر من ايلول ، وحالة عدم الاستقرار الي سادت منطقة الشرق الاوسط تقوم على اسس جديدة هدفها تنويع مصادر الطاقة والاسواق معطية لأفريقيا اولوية جيوبولتيكية في هذه الاستراتيجية والتي على الرغم من انها حملت وجها اقتصاديا الا انه له قيمة اخرى من الناحية الاستراتيجية وذلك لان توجه الصين نحو تأمين جزء من مصادر طاقتها من افريقيا انما يتم في اطار استراتيجية بكين العالمية المرتكزة على قاعدة المساعدات مقابل النفط [٣٧].

لقد اثار تطبيق هذه الاستراتيجية في افريقيا خشية القوى الغربية من تهديد الصين لمصالحها الحيوية في مناطق نفوذها التقليدية [٣٨] ،وقد تعاظمت هذه المخاوف واشتدت وتيرتها عندما طرحت الصين رؤية استراتيجية لكيفية تعامل الدول الافريقية مع الدول الكبرى سميت بـ (اتفاق بكين) الذي تعمل الصين بموجبه على تشجيع الدول الافريقية والآسيوية (المارقة وغير الديمقراطية بنظر الولايات المتحدة) بمقاومة المطالب الغربية المفروضة عليها في الاصلاح السياسي والاقتصادي ،والتمسك بقيمها وسياساتها القائمة على استمرار هيمنة الدولة على مفاصل الاقتصاد والسياسة،ومساعدتها على الافلات من العقوبات الدولية مثل السودان ونيجيريا والكونغو واثيوبيا،وامتناعها عن ممارسة اي ضغوط على الدول الافريقية للأذعان للقرارات الدولية لتسوية نزاعاتها وصراعاتها الداخلية [٣٩].

دفعت هذه التطورات الولايات المتحدة الى درء الخطر الصيني من خلال الدعوة لعقد قمة امريكية – افريقية في آب ٢٠١٤ حضرها رؤساء دول وحكومات ٥١ دولة افريقية،ولوحظ على القمة غلبة الطابع الاقتصادي على مداولاتها ومناقشاتها ومقرراتها ، مما يعني ان الولايات

---

٣٦ - قط سمير، مصدر سبق ذكره، ص ص ١١٤– ١١٥.
و Judith Van de Looy, op.cit., pp.7- 8.

٣٧ - نجلاء محمد مرعي،الثروة النفطية والتنافس الدولي "الاستعماري" الجديد في افريقيا،مجلة البيان ،التقرير الاستراتيجي السابع، ٢٠١٠، ص ٤٢١.

[٣٨] - الوجود الصيني والتنافس الصيني – الافريقي : ابعاد وقضايا عربية غائبة ، مقال منشور على الموقع الالكتروني http\\:saghbini.wordprss.com

٣٩ - رضا محمد هلال، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥.

المتحدة اخذت تحذو حذو الاستراتيجية الصينية في افريقيا التي تركز على هذا الجانب اكثر من سواه،وابتعدت عما يحرج القادة الافارقة فيما يخص حقوق الانسان والديمقراطية ومراعاة تطبيقهما اذا ما رغبوا في الحصول على المساعدات الامريكية والاقتصار على مناقشة قضايا الاستثمار وتهيئة المناخ الملائم له [٤٠].

تمتلك بريطانيا هي الاخرى مصالح كبيرة في افريقيا لكنها فضلت الخيار الامريكي في التعامل مع الدور الصيني من خلال اتباع سياسة المشاركة البناءة مع الصين املا في التأثير على بكين لأعتماد وجهة النظر التي تتفق مع افضل الممارسات التي وضعها الغرب حول التنمية والاستثمار،فيما يساور القلق فرنسا التي ترى ان مشاركة الصين في مجال نفوذها التقليدي يعد تحد بارز لتفوقها في افريقيا وبأن ايامها كقوة عظمى اخذت في الافول [٤١].

ثانيا: العمالة الصينية وتهديد الصناعات المحلية

استعانت الدول الافريقية بالشركات والعمالة الصينية للعمل في بلدانها والتي تتميز بالكفاءة ورخص التكاليف من اجل المساهمة في انجاز المشاريع وتنمية اقتصادياتها لكن هذا الاستخدام لم يخلو من المخاطر ومن انعكاسات سلبية على سوق العمالة الافريقية،فالعمالة الصينية اخذت تنافس الاخيرة وتزيحها عن اعمالها حتى الحرفية منها وتتسبب بأفلاس العديد من المؤسسات والشركات الافريقية واغلاقها وتسريح اعداد كبيرة من العمال مثلما حصل في نيجيريا عندما قامت الحكومة بتسريح ٢٥٠ الف عامل بعد اغلاق ٨٠% من مصانع النسيج،والشئ ذاته حدث في جنوب افريقيا عندما تم تسريح ما يقارب من ٦٠ الف عامل بعد اغلاق ما لا يقل عن ٨٠٠ شركة،اما الجزائر فقد اصدرت قانون لتنظيم هذه العمالة التي تعمل في مشاريع البناء الضخمة لمنعهم من العمل خارج الاطار الذي جاءوا من اجله [٤٢].

ثالثا : التحديات البيئية .

تتعرض البيئة في افريقيا الى تدمير وتدهور ممنهج طويل الامد تشترك الشركات الصينية في جزء منه،اذا تتعرض الغابات سواء بشكل قانوني او غير قانوني في كل من ليبيريا والغابون وغينيا الاستوائية والكاميرون وموزمبيق وغيرها الى قطع متواصل لأشجارها التي يتم تحويلها الى خشب ومن ثم تصديرها الى مصانع الخشب في الصين،ويمثل استعداد الصين لتمويل مشاريع البنية التحتية الكبيرة المتمثلة ببناء السدود عامل آخر من عوامل التدهور الايكولوجي في افريقيا لما تسببه هذه السدود من تهجير وتشريد تعسفي للسكان المحليين ، فضلا عن عواقبها البيئية الاخرى كما حدث في السودان عند بناء سد مروي بكلفة ١،٨ مليار دولار والذي ادى الى تهجير عدد من سكان المنطقة التي اقيم فيها السد،وامتد تدمير البيئة ايضا الى الحياة البرية والبحرية،والتلوث الناجم عن استخراج النفط والمعادن،اذ لا تراعي الشركات الصينية خاصة الصغيرة والمتوسطة معايير العمل والبيئة في الدول الافريقية [٤٣].

٤٠- سعيدة محمد بن عمر، مصدر سبق ذكره، ص٤.
٤١- كريس الدن ،مصدر سبق ذكره،ص ص ١٤٠ – ١٤٧.
٤٢ -قط سمير ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٢٢ – ١٢٣ .
و كريس الدن ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٧٠ – ٧١ .
٤٣- المصدر نفسه ، ص ص ١٢١ – ١٢٣ ، وص ١٢ وص ٨٢ .

رابعا: معارضة المنظمات غير الرسمية وغير الحكومية للوجود الصيني .

تواجه رغبة الصين في المحافظة على وضعها واستثماراتها في افريقيا تحديا من جانب منظمات المجتمع المدني واحزاب المعارضة في الدول الافريقية في قضايا العمل والبيئة والتجارة والحكم، اذ لم تتوان عن انتقاد سياسة المساعدات التي تقدمها الصين وسلوك بعض شركاتها، وانزعاجها من العلاقات الوثيقة التي يجري استغلالها من قبل الصين مع الحكام الافارقة المستبدين ، ولمواجهة هذا النقد قامت الصين بإقامة مشاريع ذات قيمة رمزية مثل بناء مستشفى او تقديم مساعدات مالية للتخفيف من حدة بعض المشاكل الداخلية.

لم تتردد المعارضة السياسية في بعض الدول الافريقية من استخدام الوجود الصيني كأداة للمناورة بهدف كسب الدعم الشعبي ومن ثم الوصول الى السلطة السياسية مستغلة علاقة الصين الوثيقة مع الانظمة الحاكمة في افريقيا، فعلى سبيل المثال انتقدت احزاب المعارضة في بوتسوانا شروط القروض الصينية لحكومة بلادها للحصول على مشروع بناء المساكن بأستخدام الشركات الصينية (٤٤).

ان شكوى الدول الغربية وبعض الجهات غير الحكومية الافريقية من التأثيرات السلبية للوجود الصيني في افريقيا لا يعني ان هذا الاتهام صحيحا بل انه يفتقر الى الدقة والموضوعية والمصداقية،ويمثل حالة من القلق المتنامي لدور الصين في افريقيا والذي عكس حالة ايجابية تمثلت بمساعدة الدول الافريقية على تطوير اقتصاداتها من خلال سلسلة من المساعدات الاقتصادية والفنية مما ساعدها على تنويع مبادلاتها التجارية مع الصين وزيادتها ووضعها في طريق التنمية،كما استجابت الصين لشكاوى الدول الافريقية فيما يخص تهديد صادراتها للصناعات المحلية خاصة صناعة النسيج التي تعد من اهم الصناعات فيها واكثرها استيعابا للعمالة من خلال اتخاذ خطوات من شأنها تجنب اغراق السوق الافريقية بالبضائع على حساب الانتاج المحلي.

ان توجيه الاستثمار الصيني لتطوير البنية التحتية بكلف منخفضة وجودة عالية وسرعة في الانجاز كان لها دورا ايجابيا من ناحيتين،الاولى:رفع مستويات النمو الاقتصادي في عدد من الدول الافريقية ، والثاني:تجاوز الصين الانتقادات الموجهة لأستثماراتها في قطاع الطاقة الافريقي (٤٥).

وتبذل الصين جهودا كبيرة من اجل مساعدة الدول الافريقية على تطوير اقتصادياتها الوطنية من خلال استلهام التجربة التنموية الصينية وتكييفها لتلائم الظروف الافريقية، واشراك العمالة الافريقية في المشاريع الصينية وتدريبهم على اخلاقيات العمل الصينية والقائمة على الانتاجية العالية والعمل لساعات طويلة وفي ظروف صعبة احيانا من اجل انجاز المهام المكلفة بها، فضلا عن اقامة عدد من الدورات التدريبية لتطوير قابليات وامكانيات العمال الافارقة (٤٦).

---

٤٤ - المصدر نفسه،ص ص ١٢٣ – ١٢٨، وص ١١٤ .
٤٥ - عيمور فيروز،مصدر سبق ذكره ،ص ص ١٢٨ – ١٣١ .
٤٦ - كريس الدن،مصدر سبق ذكره ،ص ١٤٧ .

المبحث الثالث: مستقبل الدور الصيني في افريقيا .

ستبقى الاعتبارات الاقتصادية حاليا ومستقبلا العامل الاكثر اهمية من غيرها في تشكيل العلاقات الصينية – الافريقية والتحكم في مساراتها ، فحاجة الصين الى النفط الافريقي وزيادة المبادلات التجارية وتوسيع مجالاتها ستكون اهم المتغيرات المؤثرة في استراتيجية الصين المستقبلية حيال افريقيا [٤٧].

سيعتمد كل ذلك بلا شك على امرين هما : قدرة الصين على تكييف نفسها مع المشاغل الافريقية في الوقت الذي تسعى فيه نحو تحقيق اهدافها الاوسع الخاصة على مستوى القارة، وقدرة الافارقة انفسهم على تحديد طبيعة وعمق التغلغل الصيني في قارتهم [٤٨] واذا تمكنت الدول الافريقية من امتلاك هذه الامكانية فأن هذا الامر سيؤثر بشكل سلبي على الوجود الغربي في افريقيا من منظور المصالح الحالية والمستقبلية.

ان الصين مدعوة في ظل هذه الاحتمالات الى تبني استراتيجية تمكنها من بلوغ غايتها هذه وتثبيت اركان وجودها في القارة من قبيل : التأكيد على اهمية العامل الثقافي في تعزيز الروابط مع افريقيا من خلال منح المواطنين الصينيين المسلمين مواقع مهمة في المؤسسات والانشطة الصينية ذات الصلة بأفريقيا او بمناطق انتاج النفط فيها في الدول ذات الغالبية الاسلامية لكي يتمكنوا من التأثير في المجتمعات المحلية وخلق انطباع جيد عن الصين فيها [٤٩] ومساعدة الدول الافريقية على بناء نظام امن غذائي متطور يمكنها من التخلص من المجاعات التي تعاني منها منذ سنوات عديدة،وعدم السماح للشركات الصينية بتشكيل سياستها تجاه افريقيا على وفق مصالحها دون النظر الى انظمة الدول التي تتعامل معها وطبيعتها وطموحاتها وارتباطاتها، ومراقبة سلوك شركاتها في افريقيا في اطار حملتها الناجحة لمكافحة الفساد ،والتأكد من مصير مساعداتها المالية والاقتصادية المقدمة الى هذه الدول[٥٠] وضرورة اعادة النظر في السياسة الصينية حيال افريقيا من خلال اعتماد القواعد المنصوص عليها في الشراكة بين الاتحاد الافريقي ومنتدى التعاون الصيني – الافريقي وايجاد الحلول للكثير من المشاكل والصيغ المناسبة للتعاون،واهمية توظيف الصين للاتحاد الافريقي كونه واجهة متعددة الاطراف لوضع المعايير المشتركة التي ستحمي الصين من تهمة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الافريقية،وتخفيف النقد الموجه لسمعتها على الصعيد العالمي كونها تسهم في تركيز الفساد في افريقيا وتحول دون امكانية احلال السلام فيها [٥١] .

ستواجه جهود الصين في سبيل تطوير سياستها تجاه القارة الافريقية في المستقبل المنظور بعض المعوقات التي يمكن ان تقلل من حجم المكاسب التي تحققها في هذا الاطار نوجز ابرزها في:

---

٤٧ - قط سمير،مصدر سبق ذكره، ص ص ١٤٠ – ١٤١.
٤٨ - كريس الدن، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٧٩ – ١٨١.
٤٩ - د. عبد الحكيم الطيب وخالد محمد دفع الله، مصدر سبق ذكره، ١١٨ وص ١٠٣.
٥٠ - جعفر كرار احمد ،العلاقات السودانية – الصينية ١٩٥٦ – ٢٠١١ ، مجلة المستقبل العربي ، عدد ٤٤٢ ، كانون الاول/ديسمبر ٢٠١٥، ص ص ٣٧ – ٣٨.
٥١ - مهاري مارو،مصدر سبق ذكره،ص ٩.

١- ضعف المكون الثقافي في علاقة الصين بأفريقيا والتي ترتكز على عدد من العناصر منها عدم انتشار اللغة الصينية عالميا،وعدم المام النخبة الصينية المثقفة للغات المستخدمة في هذه الدول،وعدم ايلاء الصين اهتماما كبيرا بالديانات المنتشرة في هذه الدول والتنظيمات المتعددة المروجة لها،وتجاهل منظمات المجتمع المدني العاملة في مجال الخدمة الاجتماعية.

٢- ضعف الاهتمام الاعلامي والاكاديمي الصيني بالقارة الافريقية مثل محدودية اهتمام الاعلام الصيني بهذه المنطقة،وقلة عدد المراكز والبرامج البحثية المتخصصة في دراسة كل ما يتعلق بهذه الدول من ناحية ثقافتها وقيمتها ودياناتها وعلاقاتها الخارجية السياسية والاقتصادية،واستقاء الصين لمعلوماتها وبياناتها عن هذه الدول من المراكز والبرامج البحثية الغربية مما ينقل لها صورة غير دقيقة عنها.

٣- ان استمرارية اعتماد الصين على المواد الخام وموارد الطاقة من افريقيا ودفع شركاتها عمولات للمسؤولين السياسيين في هذه الدول نظير تسهيلهم للأجراءات المتعلقة بالاستثمار سيشوه صورتها ويضعها في خانة الدول الاستعمارية مما يعرقل جهودها مستقبلا في الحفاظ على علاقات متوازنة مع الدول الافريقية [٥٢].

٥٢ - رضا محمد هلال،مصدر سبق ذكره،ص ص ١٣٨ – ١٣.

الخاتمة:

ان فهما واقعيا ومدروسا لحقيقة العلاقة الديناميكية بين الصين وافريقيا يقودنا الى الحقائق الآتية:

١- ان تشجيع الصينيين للهجرة والعمل في افريقيا يستند الى تجارب ناجحة سابقة في دول جنوب شرق آسيا حيث الاقليات الصينية القوية الممسكة بعصب الحياة الاقتصادية في البلدان التي توطنت فيها منذ عشرات السنين،والحال في افريقيا لا يختلف عن سابقه، فالصينيون المعروفون بالهمة والنشاط والتضامن فيما بينهم والقدرة على الاندماج في المجتمعات المحلية قادرون على بناء ذاتهم وتكوين ثروات تساعدهم على انشاء مشاريع اقتصادية في بلدان فتية استوطنها الفقر والتخلف،ومن ثم السيطرة تدريجيا على الاقتصادات المحلية او فرض نوع من التأثيرعليها وعلى حركتها ونشاطاتها،ومن هذه الزاوية يمكن ان تسفر هذه العملية بالنهاية وبعد سنوات طويلة قد تصل عقودا الى امتلاك الصينيين الافارقة التأثير على مجريات العملية السياسية في عدد من الدول الافريقية والتحكم في مساراتها وعلاقاتها وارتباطاتها الخارجية خاصة مع الصين (البلد الام) اذ يتميز الصينيون بأفتخار اجيال عديدة منهم بأنتماءهم الى وطنهم الاصلي حتى لو كانوا يعيشون بعيدا عنها،كما يساعد اهتمام الحكومات الصينية المتعاقبة للمجتمعات الصينية خارج البلاد ورعايتها ومد يد المساعدة لها عاملا مساعدا في تنامي هذا الشعور،ومن هنا نفهم ان النجاح سيكون حليف الصينيين في افريقيا.

٢- ان توطيد الصين لعلاقاتها مع الانظمة الاستبدادية في افريقيا وتعميقها وانشاء شبكة مصالح معقدة ومتشابكة قد تطرح احتمالية بعيدة المدى هي تدخل الحكومة الصينية من خلال استخدام وحدات من جيشها اذا ما تعرضت مصالحها للخطر والدفاع عن الانظمة السياسية الحليفة لها،مما سيولد مزيدا من الاحتقان السياسي وتنامي مشاعر الكراهية في صفوف المواطنين الافارقة للصين الحريصة دائما على سمعتها وعلى جالياتها التي قد تتعرض للمضايقات والأضرار بمصالحها من جانب شعوب الدول التي تقيم فيها.

٣- تستطيع افريقيا الاستفادة من مشاريع الصين العالمية في تحقيق تنميتها الاقتصادية من خلال الانضمام الى البنك الآسيوي للأستثمار في البنية التحتية الذي انشأته الصين في تشرين الاول ٢٠١٤ والذي سيمنح الصين مستقبلا مكانة كبيرة في مجالي التنمية والادارة المالية على المستوى العالمي،ويفتح الطريق امامها لأعادة تشكيل النظام المالي العالمي،وسيمكن هذا الانضمام افريقيا الى الاستفادة من برامجه في تطوير اقتصاداتها المحلية وفتح مجال اوسع امامها.